

الباب الرابع

عرض البيانات وتحليلها

ستقدم الباحثة في هذا الباب صورة عامة عن سُورَة يوسف، والآيات التي تتضمّن التشبيّه في سُورَة يوسف، وأغراض التشبيه وما يتضمّنه من القيم التربوية في تفسير المنير، بتقديم البيانات ثم تحليلها.

أ. لمحة عامة عن سورة يوسف

تُعَدُّ سُورَة يُوسُف من السُّور المكيّة التي تناولت قصص الأنبياء، وقد حُصِّصت لعرض قصّة نبيّ الله يوسف بن يعقوب عليهما السلام، وما تعرّض له من ابتلاءاتٍ ومحنٍ مختلفة. فقد واجه أنواعًا من الشدائد، بدءًا بما لقيه من إخوته، ثم ما مرّ به في بيت عزيز مصر، وما تعرّض له من مكائد النسوة، إضافةً إلى ما عاناه في السجن، حتى فرّج الله عنه وأنجاه من تلك الكروب. هذه القصة تهدف إلى تسليّة النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيتته، بما تُظهره صبر الأنبياء على الشدائد وما يلاقونه من أذى القريب والبعيد.^{٨٤}

وتتميز هذه السورة بأسلوب مميز في ألفاظها وتعبيرها وأدائها، كما يظهر عرضها القصصي الجميل الذي يجذب النفس ويؤثر في القلب تأثيرًا لطيفًا عميقًا. فأسلوبها يجري في النفس بسلاسة ورقة، حتى يكاد يلامس القلب كما تسري الروح في الجسد. وعلى الرغم من أنها من السور المكية التي يغلب عليها عادة طابع الإنذار والتهديد والوعيد، فإنها جاءت بأسلوب مختلف يتسم باللطف والعدوبة، ويغلب عليه جو الأُنس والرحمة والرأفة. ولهذا قال خالد بن معدان: (سورة يوسف ومريم مما يتفككه بهما أهل الجنة في الجنة). وقال عطاء: (لا يسمع سورة يوسف محزونًا إلا استراح إليها).^{٨٥}

^{٨٤} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الطبعة الأولى (دار القرآن الكريم، ١٩٨١)، ٥.

^{٨٥} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ٥.

نَزَلَتْ سُورَةُ يُوسُفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ سُورَةِ هُودَ، وَذَلِكَ فِي مَرِحَلَةٍ عَصِيبَةٍ مِنْ حَيَاتِهِ الشَّرِيفَةِ، إِذْ تَوَالَتْ عَلَيْهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ الشَّدَائِدُ وَالْمَحْنُ، خَاصَّةً بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجَتِهِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الَّتِي كَانَتْ سِنْدًا لَهُ، وَوَفَاةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي كَانَ يَدَافِعُ عَنْهُ وَيَقِفُ إِلَى جَانِبِهِ. وَبِفَقْدِهِمَا اشْتَدَّ الْأَذَى وَالْبَلَاءُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى أَصْحَابِهِ، حَتَّى سُمِّيَ ذَلِكَ الْعَامَ بِعَامِ الْحَزَنِ.^{٨٦}

جَاءَتْ قِصَّةُ يُوسُفَ الصَّدِيقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِتَكُونَ تَسْلِيَةً لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَّ يَلَاقِيهِ مِنَ الشَّدَائِدِ، كَمَا تَحْمَلُ فِي طَيَّاتِهَا الْبِشْرَ وَالْأَنْسَ وَالطَّمَأْنِينَةَ لِكُلِّ مَنْ يَسِيرُ عَلَى نَهْجِ الْأَنْبِيَاءِ. فَهِيَ تَبَيَّنُ أَنَّ الْفَرْجَ يَأْتِي بَعْدَ الضِّيقِ، وَأَنَّ الْيَسْرَ يَعْقِبُ الْعُسْرَ. وَقَدْ اشْتَمَلَتِ السُّورَةُ عَلَى دُرُوسٍ وَعِبَرٍ عَظِيمَةٍ، وَمَوَاعِظٍ بَلِيغَةٍ، تَتَضَمَّنُ أَخْبَارًا عَجِيبَةً وَأَحْدَاثًا مُؤَثَّرَةً، يَنْتَفِعُ بِهَا مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ وَاِعٍ أَوْ أَصْغَى بِسَمْعِهِ مُتَدَبِّرًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿.....لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: ٣٧/٥٠).

وهذا هو الجو العام للسورة وما تحمله من إيجاباتٍ ودلالاتٍ؛ فهي تبعث الأمل بقرب الفرج والنصر لكل من تحلّى بالصبر وسلك طريق الأنبياء والمرسلين والدعاة الصادقين، ولهذا كانت سلوى للقلوب ودواءً لما يصيبها من ألم. وقد جرى أسلوب القرآن في سرد القصص أن يذكرها في مواضع متعددة بأسلوب موجز يهدف إلى العظة والاعتبار، دون استقصاء جميع تفاصيلها، مما يثير التشويق ويجدد الاهتمام بسماعها دون ملل. أمّا قصة يوسف عليه السلام فقد جاءت في هذه السورة متتابعة الحلقات، مبسّطة الأحداث، ولم تتكرر في موضع آخر من القرآن كسائر قصص الأنبياء، وذلك إشارة إلى جانب من جوانب إعجاز القرآن الكريم في عرضه للقصة إجمالاً وتفصيلاً.^{٨٧}

^{٨٦} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ٥.

^{٨٧} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ٦.

قال العلامة القرطبي: ذكر الله أفاضل الأنبياء في القرآن، وكررها بمعنى واحد، في وجوه مختلفة، وبألفاظ متباينة، على درجات البلاغة والبيان، وذكر قصة يوسف عليه السلام ولم يكررها، فلم يقدر مخالف على معارضة المكرر، ولا على معارضة غير المكرر، والإعجاز واضح لمن تأمل. ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^{٨٨}

ب. عرض البيانات

اعتمدت الباحثة منهجية تقوم على تحديد الآيات المشتملة على التشبيه في سورة يوسف، مستندةً في ذلك إلى المراجع البلاغية والتفسيرية المعنية، وهي ما مكنتها من تحقيق الهدف المطلوب.

توصلت الباحثة إلى وجود ٩ (تسعة) مواضع للتشبيه في سورة يوسف وهي:

١ . الآية ٦

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رُبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾

٢ . الآية ٦

قوله تعالى: ﴿.....كَمَا آتَمَّهَا عَلَيَّ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾

٣ . الآية ٢١

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

٤ . الآية ٢٢

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾

٥ . الآية ٢٤

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأٰ بَرَهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾

٦. الآية ٣١

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾

٧. الآية ٤٤

قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَضْغَاتٌ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَلَمِينَ ﴾

٨. الآية ٧٥

قوله تعالى: ﴿ قَالُوا جَزَاءُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاءُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾

٩. الآية ٧٦

قوله تعالى: ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾

ج. تحليل البيانات

١. التشبيه في سورة يوسف

أ) الآية ٦

﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَاسْحَقُ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

التفسير: ومثل هذا الاختيار والاصطفاء إنما هو اصطفاؤه من الله لعبده، حيث يختاره ويجعله مميّزًا بين سائر الناس لأداء مهمة عظيمة. ومن مظاهر هذا الاصطفاء أن يعلمه الله تأويل الرؤى، أي بيان ما تقول إليه الأشياء وتفسير ما تشير إليه الرؤيا في الواقع. كما يتم الله نعمته عليه بالنبوة والملك، وفي ذلك خيرٌ له في الدنيا والآخرة. وتمتد هذه النعمة كذلك إلى ذرية يعقوب، كما أتمها الله من قبل على جديهِ إبراهيم وإسحاق عليهما السلام؛ فقد أنجى الله إبراهيم من النار، واتخذ خليلاً وجعله نبياً

رسولاً، وكذلك جعل إسحاق نبياً رسولاً. إن الله عليم بمن يستحق الاصطفاء، حكيم في تدبيره، يضع الأمور في مواضعها اللائقة. وتجدر الإشارة إلى أن كلمة «آل» لا تُستعمل في الغالب إلا في حق أتباع العظماء وأهل المكانة.^{٨٩}

وفي تفسير آخر: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ﴾ أي كما أنعم الله عليك بهذه الرؤيا التي رأيت فيها الكواكب والشمس والقمر ساجدةً لك، فإنه يختارك ويصطفيك من بين الناس لنبوته، ويخصك بفضله دون غيرك. كما يعلمك الله تأويل الرؤى، أي معرفة تفسيرها وبيان ما تشير إليه من أحداث في الواقع. ويكون هذا التعليم بإلهام الله له الصواب في فهمها وتفسيرها، أو بما يمنحه من صفاء الفراسة ودقة الفهم في إدراك معانيها. وقد أشار يوسف عليه السلام إلى ذلك في حديثه مع أبيه: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ (يوسف: ١٢/١٠٠). وقال لصحابي السجن: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقُنِيهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بَتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ (يوسف: ٣٧/١٢).

﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ أي أن الله يتم نعمته عليك بمنحك الرسالة والوحي. كما يتم هذه النعمة على آل يعقوب، أي على أبيك وإخوتك وذريتهم. والمقصود بلفظ آل الإنسان يعني أهله وقربته، وغالباً ما يُستعمل هذا اللفظ في حق من لهم منزلة ورفعة، كما في قولنا: آل النبي صلى الله عليه وسلم.

﴿كَمَا آتَاهَا﴾ أي كما أتم الله نعمته سابقاً على جدك إسحاق وعلى جد أبيك إبراهيم. وقد قُدِّم ذكر إبراهيم عليه السلام أولاً لعلو منزلته وشرف مكانته. إن ربك عليم بعباده، ويعلم من هو أهل للاصطفاء والاجتباء، فهو سبحانه أعلم بمن يختار لحمل رسالته، مثلما جاء في آية أخرى. وهو سبحانه حكيم في تدبيره وصنعه، يضع

^{٨٩} وهبة الزحيلي، تفسير الوجيز، (دار الفكر، ١٤٣٤)، ٢٣٧.

الأمر في مواضعها ويجريها على ما ينبغي.^{٩٠}

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مجمل؛ لذكر أداة التشبيه وحذف وجه الشبه.
 المشبه: اجتناء يعني الاختيار والاصفاء الله تعالى ليوسف عليه السلام وتعليمه
 تأويل الأحاديث مستقبلاً.
 المشبه به: اجتناء الله له بما خصه به من الرؤيا وما فيها من مزيد عنايته سبحانه
 بيوسف عليه السلام.

أداة التشبيه: حرف التشبيه (الكاف)

وجه الشبه: محذوف، وهو الاصطفاء الإلهي وعلو المنزلة وتمام العناية الإلهية

(ب) الآية ٦

﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ
 يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

قد سبق التفسير والمعاني عن هذه الآية في المبحث السابق.

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مجمل؛ لذكر أداة التشبيه وحذف وجه الشبه.
 المشبه: إتمام نعمة الله على يوسف عليه السلام.
 المشبه به: إتمام تلك النعمة على أبويه من قبل: إبراهيم وإسحاق عليهما السلام.
 أداة التشبيه: حرف التشبيه (الكاف).

وجه الشبه: محذوف، يعني مما أوتوا عليهم السلام من النبوة والعلم والحكمة

(ج) الآية ٢١

﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ
 وَلَدًا ۗ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۗ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ
 أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

^{٩٠} وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المجلد السادس (دمشق: دار الفكر،

التفسير: قال الذي اشتراه، وهو عزيز مصر ووزير الملك على خزائن المال، لامرأته: أكرمي مقامه بيننا، واعتني برعايته والقيام بشؤونه، فلعله ينفعنا إذا كبر، فيتولى بعض الأعمال، أو نتخذه ولدًا لنا لما نراه فيه من جمالٍ وذكاءٍ وسماتٍ طيبة. وكما أن الله أنجاه من القتل ومن إلقاءه في البئر، فقد هيا له في مصر مكانةً ومنزلةً رفيعة حتى صار فيما بعد مسؤولاً عن خزائنها، وذلك ليعلمه تأويل الرؤى وتفسيرها. والله تعالى لا يعجزه شيء، فالأمور تجري وفق إرادته وتدييره، ولو حاول الناس تدبير غير ذلك. غير أن أكثر الناس، وهم المشركون، لا يدركون أن الله غالب على أمره، قادر على إنفاذ مشيئته، وأن الأمر كله بيده.^{٩١}

وفي تفسير آخر: ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ﴾ أي أن الذي اشترى يوسف في مصر قال لزوجته: أحسني معاملته وأكرمي مقامه عندنا. وقد ذكر ابن عباس أن اسم الذي اشتراه كان قطفير، وهو العزيز الذي كان يتولى على خزائن الأرض، ثم قال ﴿ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ أي لعله يكون لنا نافعًا بعض شؤوننا إذا كبر أو نتخذه ولدًا لنا، خاصة أنهما لم يكن يولد لهما ولد.^{٩٢}

وقال الزحيلي: ﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ أي كما أنجينا يوسف من القتل ومن إلقاءه في البئر، وجعلنا قلب العزيز يميل إليه ﴿ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي هيا لنا له التمكين في أرض مصر، ومنحناه مكانةً رفيعة فيها حتى آل الأمر إلى أن يتولى شؤونها ويصبح مسؤولاً عن خزائنها ﴿ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ أي ليكون ذلك سببًا في تعليمه تفسير الرؤى وتأويلها، وهذا معطوف على معنى مقدر متعلق بقوله مكنا، أي ليتصرف في البلاد بالعدل، ولنعلمه تأويل الرؤى ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ﴾ أي إن الله لا يعجزه شيء، فلا مجال بينه وبين ما يريد، ولا يستطيع أحد أن يمنع ما قضاه أو يعارض مشيئته.^{٩٣}

^{٩١} وهبة الزحيلي، تفسير الوجيز، ٢٣٨.

^{٩٢} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ١١.

^{٩٣} وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المجلد السادس، ٥٦٦.

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مجمل؛ لذكر أداة التشبيه وحذف وجه الشبه.
 المشبه: المكانة والمنزلة الرفيعة ليوسف عليه السلام.
 المشبه به: تنجية الله ليوسف عليه السلام من القتل والبئر وتعطيف قلب العزيز
 أداة التشبيه: حرف التشبيه (الكاف)
 وجه الشبه: محذوف، يعني قدرة الله وعنايته بنيه عليه السلام.

(د) الآية ٢٢

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾

التفسير: ولما بلغ يوسف عليه السلام أشدّه، أي وصل إلى مرحلة اكتمال قوته
 الجسدية والعقلية، وتمام نضجه ورشده، وهي الفترة التي تكون غالبًا بين الثلاثين
 والأربعين من العمر، آتاه الله النبوة والحكمة، أي العلم المقترن بالعمل، ومعرفة حقائق
 الأمور وأسرارها، إضافة إلى العلم بالدين وتأويل الرؤى والأحاديث. ومثل هذا الجزء
 الذي ناله يوسف إنما هو مكافأة من الله للمحسنين الذين يطيعونه ويحسنون العمل.^{٩٤}
 وفي تفسير آخر: لما بلغ يوسف غاية قوته في شبابه منحه الله فهمًا واسعًا
 وعلماً عظيمًا، وكان هذا العطاء جزاءً لإحسانه وصبره، فالله تعالى يجزي المحسنين على
 إحسانهم. وفي ذلك أيضًا تسليّة للنبي ﷺ وتثبيت له.^{٩٥}

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مجمل؛ لذكر أداة التشبيه وحذف وجه الشبه.
 المشبه: جزاء الله للمحسنين.
 المشبه به: جزاء الله ليوسف عليه السلام على إحسانه يعني إيتاؤه الحكم والعلم
 أداة التشبيه: حرف التشبيه (الكاف).
 وجه الشبه: محذوف، يُقدَّر بحسن الجزاء والفضل الإلهي

^{٩٤} وهبة الزحيلي، تفسير الوجيز، ٢٣٨.

^{٩٥} نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٢٠٠٩).

(هـ) الآية ٢٤

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ
إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾

التفسير: ولقد وجد من كلٍ منهما ميلٌ فطريٌّ نحو الآخر بحكم الطبيعة البشرية، غير أن المرأة كانت عازمة على الوقوع في المعصية، بينما لم يكن يوسف عليه السلام يريد ذلك. ولولا ما تثبتته الله به من النبوة، وما استحضره من عهد الله ومراقبته له، لما سلم من تلك الفتنة. وقد أراه الله برهانه تبيينًا له وتذكيرًا، ليصرف عنه خيانة العزيز في أهله، وليبعده عن الوقوع في الفاحشة. فهو من عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ اجْتَبَاهُمْ لِرِسَالَتِهِ وَخَصَّهْمَ بِطَاعَتِهِ، وَطَهَّرَهُمْ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ أَوْ عَيْبٍ. والراجح عند كثير من المفسرين أن يوسف عليه السلام لم يقع منه همٌّ بالمعصية بحسب دلالة اللغة، وأن جواب لولا يدل عليه ما تقدم في السياق.^{٩٦}

وفي تفسير آخر: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي بهذا التشبيث أيّدناه وأرّيناه البرهان. ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ الخيانة ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ أي الزنى ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ أي من عباد الله الذين اصطفاهم واجتباهم لطاعته. وعلى قراءة كسر اللام (المخلصين) يكون المعنى: الذين أخلصوا لله في طاعتهم.^{٩٧}

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مجمل؛ لذكر أداة التشبيه وحذف وجه الشبه.
المشبه: صرف الله السوء والفحشاء عن يوسف عليه السلام.
المشبه به: صرف الله السوء والفحشاء عن غيره من عباده المخلصين.
أداة التشبيه: حرف التشبيه (الكاف).
وجه الشبه: محذوف وهو العناية الإلهية الخاصة والتأييد الرباني عند الشدائد.

^{٩٦} وهبة الزحيلي، تفسير الوجيز، ٢٣٩.

^{٩٧} وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المجلد السادس، ٥٧٤.

(و) الآية ٣١

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَمَاتٌ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ
سَكِينًا وَقَالَتِ اخْرِجْ عَلَيْنِ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا
بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾

التفسير: فلما علمت امرأة العزيز بما قالته النسوة عنها من كلامٍ خفيٍّ ونقدٍ لتصرفها، دعتهنَّ إلى وليمة لتُظهر لهنَّ العذر فيما فعلت، ولتجعلهنَّ يقعن في مثل ما وقعت فيه. وقد وُصف كلامهن بالمكر؛ لأن قصدهن لم يكن الدفاع عن الفضيلة، بل إحراجها حتى تُبعد يوسف عنها ويكون لهنَّ نصيبٌ في الاهتمام به. فأعدت لهنَّ مجلسًا وهيأت لهنَّ الوسائد ليتكنن عليها، وأعطت كلَّ واحدةٍ منهن سكينًا لتقطع الطعام. ثم قالت ليوسف: اخرج عليهنَّ. فلما رأينه أعجبن بجماله إعجابًا شديدًا حتى دهشن واضطربن، فقطعن أيديهن بالسكاكين دون أن يشعرن. وقال بعضهنَّ تعجبًا من جماله وتنزيهاً لله: ما هذا بشراً، إن هذا إلا ملكٌ كريم؛ لأن جماله الفائق لم يُعهد مثله في البشر، إذ جرت العادة في الأذهان أن الملائكة موصوفون بتمام الحسن وكمال الجمال.^{٩٨}

قال الصابوني: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ ﴾ أي فلما رأين يوسف أعظمته وأجللته، وهُتِن من جماله ودُهشن ﴿ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ أي جرحن أيديهن بالسكاكين لفرط الدهشة المفاجئة ﴿ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ ﴾ أي تنزه الله عن صفتا العجز. وتعالت عظمتة في قدرته على خلق مثله ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾ أي ليس هذا من البشر ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ أي ماهو إلا ملك من الملائكة، فإن هذا الجمال الفائق، والحسن الرائع مما لا يكاد يوجد في البشر. وقال الزحيلي: ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ ما هذا إلا ملك، لما حواه من الحسن الفائق، جاء في الحديث: (أنه أعطي شطر الحسن) أو لما جمع له من الجمال

^{٩٨} وهبة الزحيلي، تفسير الوجيز، ٢٤٠.

الرائق والكمال القائق والعصمة البالغة التي هي من خواص الملائكة.^{٩٩}

نوع التشبيه: تشبيه بليغ؛ لحذف أداة التشبيه ووجه الشبه.

المشبه: يوسف عليه السلام.

المشبه به: ملك من الملائكة.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: محذوف يعني كمال الجمال، والطهارة، وحسن الصورة، وسمو الهيئة

(ز) الآية ٤٤

﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَلَمِينَ﴾

التفسير: قال الملاء: إن هذه الرؤيا ليست إلا أضغاث أحلام، أي مجموعة من

الخواطر والخيالات المضطربة التي لا حقيقة لها. ولذلك قالوا إنهم لا يملكون علم تأويل

مثل هذه المنامات التي يرونها باطلة، فلا تفسير لها عندهم.^{١٠٠}

وفي تفسير آخر قالوا: إن هذه الرؤيا ليست إلا أحلامًا مختلطة ناتجة عن خواطر

وخيالات تتشكل في ذهن النائم، ولا تحمل معنى حقيقيًا. وقد تنشأ مثل هذه الأحلام

بسبب اضطراب الهضم أو تعب النفس أو انشغال الفكر. ولذلك قالوا إنهم لا يملكون

علم تفسير مثل هذه المنامات، وحتى لو كانت رؤيا صادقة، فإنهم لا يعرفون تأويلها

أو تعبيرها.^{١٠١} وقال الصابوني: أي أنها أخلاط من الأحلام لا واقع لها، بل هي رؤى

كاذبة، وقد ذكر الضحاك أنها مجرد أحلام لا صحة لها.^{١٠٢}

نوع التشبيه: تشبيه بليغ؛ لحذف أداة التشبيه ووجه الشبه.

المشبه: أحلام الملك.

المشبه به: أضغاث (الحُزْم المختلطة من النبات اليابس التي لا نظام لها).

^{٩٩} وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المجلد السادس، ٥٨٦.

^{١٠٠} وهبة الزحيلي، تفسير الوجيز، ٢٤٢.

^{١٠١} وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المجلد السادس ٦١٣.

^{١٠٢} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ٢١.

أداة التشبيه: محذوفة.

وجه الشبه: محذوف ويعني الاختلاط، وعدم الانتظام، وفساد الدلالة.

(ح) الآية ٧٥

﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾

التفسير: قال أبناء يعقوب: إن عقوبة من يسرق الصواع هي أن يُؤخذ الشخص الذي يُعثر على الصواع في متاعه عبداً للمسروق منه، فيكون ذلك جزاءه العادل. وهكذا كان الحكم في شريعتهم، أي شريعة يعقوب عليه السلام، حيث يُعاقب السارق بمثل هذا الجزاء.

وفي تفسير آخر: ذكر أن إخوة يوسف قالوا: إن عقوبة السارق الذي يُعثر على صواع الملك في متاعه هي أن يُسْتَرْقَ مدة سنة، وهذا الحكم الجاري في شريعتهم. وقد عبّروا بقولهم: ﴿جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ ولم يقولوا: جَزَاءُ السَّارِقِ أو جَزَاءُ سَرْقَتِهِ، إشارةً الشدة تنزههم وبراءتهم من تهمة السرقة، حتى كأنهم تحاشوا التلفظ بها في هذا المقام. أما قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ فهو تأكيد لما سبق، أي إن مثل هذا الجزاء العادل. ويكون الحكم فيه استرقاق السارق لمدة سنة، عقوبةً لمن يظلم الناس بالتعدي على أموالهم. ١٠٣

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مجمل؛ لذكر أداة التشبيه وحذف وجه الشبه.

المشبه: جزاء السارق الظالم في هذه الحادثة هو استرقاق من وجد الصواع في رحله.

المشبه به: جزاء الظالمين عموماً في شريعتهم وهو استرقاق السارق لمدة سنة كجزاء عادل.

أداة التشبيه: حرف التشبيه (الكاف).

وجه الشبه: محذوف وهو العدل في المجازاة وموافقة الجزاء للعمل والاستحقاق

(ط) الآية ٧٦

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۚ
مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي
عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾

التفسير: بدأ يوسف بتفتيش أوعية إخوته العشرة قبل أن يفتش وعاء أخيه بنيامين، وذلك ليدفع عن نفسه التهمة ويحكم التدبير الذي أراده. ثم أخرج الصواع من متاع بنيامين أخيه. وبهذا التدبير الذي ألهمه الله ليوسف استطاع أن يحتفظ بأخيه عنده؛ إذ لم يكن يستطيع ذلك وفق شريعة الملك السائدة آنذاك، التي كانت تقتصر على معاقبة السارق بالضرب وتعزيمه ضعف قيمة المسروق، إلا أن يشاء الله ويأذن بذلك. وهكذا يُرْفَعُ اللهُ من يشاء من عباده درجات بالعلم والحكمة، وَفَوْقَ كُلِّ صاحب علمٍ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ، حَتَّى يَنْتَهِيَ الْعِلْمُ الْكَامِلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. ١٠٤

وفي تفسير آخر: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ أي بهذا التدبير الخفي دبرنا ليوسف أمره، وألهمناه ما يقوم به من حيلة خفية، وأوحينا إليه أن يفعل ذلك. ويُعَدُّ هذا النوع من الكيد تدبيراً محموداً، لأنه يحقق الحكمة والمصلحة التي أرادها الله تعالى. ١٠٥

نوع التشبيه: تشبيه مرسل مجمل؛ لذكر أداة التشبيه وحذف وجه الشبه. المشبه: تدبير الله ليوسف عليه السلام، أي الكيد المحبوب، والتخطيط الخفي الذي أوحى الله به ليوسف ليأخذ أخاه

المشبه به: ذلك التدبير المحكم الظاهر في تفتيش الأوعية واستخراج الصواع
أداة التشبيه: حرف التشبيه (الكاف).

وجه الشبه: محذوف، يعني الحكمة في التدبير والخفاء وإيصال الأمر إلى غايته.

١٠٤ وهبة الزحيلي، تفسير الوجيز، ٢٤٥.

١٠٥ وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المجلد السابع، (دار الفكر، ١٩٩١)،

جدول ١، ٤: خلاصة التشبيه في سورة يوسف

الرقم	رقم الآية	الآية	نوع التشبيه	المشبه	المشبه به	أداة التشبيه	وجه الشبه
١.	٦	﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾	مرسل؛ محمل؛ لذكر أداة التشبيه وحذف وجه الشبه.	اجتباء يعني الاختيار والاصطف اء من الله ليوسف عليه السلام وتعليمه تأويل الأحاديث مستقبلاً.	اجتباء الله له بما خصه به من الرؤيا وما فيها من مزيد عنايته سبحانه بيوسف عليه السلام	حرف التشبيه (الكاف)	محذوف، وهو اصطفاء الإلهي وعلو المنزلة وتمام العناية الإلهية
٢.	٦	﴿..... كَمَا أَنْتَمَهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾	مرسل؛ محمل؛ لذكر أداة التشبيه وحذف وجه الشبه.	إتمام النعمة على يوسف عليه السلام وحذف وجه الشبه.	إتمام تلك النعمة على أبويه من قبل: إبراهيم وإسحاق عليهما السلام	حرف التشبيه (الكاف)	محذوف؛ يعني مما أوتوا عليهم السلام من النبوة والعلم والحكمة

٣ .	٢١	﴿.....﴾	مرسل محمل؛ لذكر أداة التشبيه وحذف وجه الشبه.	المكانة والمنزلة الرفيعة ليوسف عليه السلام. من القتل والبئر وتعطيف قلب العزير.	تنجية الله ليوسف عليه السلام من القتل والبئر وتعطيف قلب العزير.	حرف التشبيه (الكاف)	محذوف، وهو قدرة الله وعنايته ببنيه عليه السلام.
٤ .	٢٢	﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾	مرسل محمل؛ لذكر أداة التشبيه وحذف وجه الشبه.	جزاء الله للمحسنين عليه السلام على إحسانه يعني إبتاؤه الحكم والعلم.	جزاء الله ليوسف عليه السلام على إحسانه يعني إبتاؤه الحكم والعلم.	حرف التشبيه (الكاف)	محذوف، يُقَدَّر بحسن الجزاء والفضل الإلهي.
٥ .	٢٤	﴿.....﴾	مرسل محمل؛ لذكر أداة التشبيه	صرف الله السوء والفحشاء عن يوسف	صرف الله السوء والفحشاء عن غيره	حرف التشبيه (الكاف)	محذوف وهو العناية الإلهية الخاصة،

والحفظ، والتأييد الرباني عند الشدائد		من عباده المخلصين	عليه السلام.	وحذف وجه الشبه.	وَالْفَحْشَاءُ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ ﴿		
محذوف يعني كمال الجمال، والطهارة، وحسن الصورة، وسمو الهيئة	محذوفة	ملك من الملائكة	يوسف عليه السلام	تشبيه بليغ؛ لحذف أداة التشبيه ووجه الشبه.	﴿..... وَقُلْنَا حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿	٣١	.٦
محذوف، ويعني الاختلاط والاضطراب ، وعدم الانتظام، وفساد الدلالة.	محذوفة	أضغاث (الحُرْم) المختلطة من النبات اليابس التي لا نظام لها).	أحلام الملك	تشبيه بليغ؛ لحذف أداة التشبيه ووجه الشبه.	﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ يُعَلِّمِينَ﴾	٤٤	.٧

٨٠	٧٥	﴿قَالُوا جَزَأُوهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَأُوهُ﴾ كَذَلِكَ تَجْزَى الظَّالِمِينَ ﴿	مرسل محمل؛ لذكر أداة التشبيه وحذف وجه الشبه.	جزاء السارق الظالم في هذه الحادثة هو استرقاق من وجد الصواع في رحله.	جزاء الظالمين عموما في شريعتهم وهو استرقاق السارق لمدة سنة كجزاء عادل.	حرف التشبيه (الكاف)	محذوف وهو العدل في المجازاة، وموافقة الجزاء للعمل، والاست حقاق
٩٠	٧٦	﴿.....كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسَفَ﴾	مرسل محمل؛ لذكر أداة التشبيه وحذف وجه الشبه.	تدبير الله ليوسف عليه السلام، أي الكيد المحسوب، والتخطيط الخفي الذي أوحى الله به ليوسف ليأخذ أخاه.	ذلك التدبير المحكم الظاهر في تفتيش الأوعية واستخراج الصواع.	حرف التشبيه (الكاف)	يعني الحكمة في التدبير والخفاء وإيصال الأمر إلى غايته.

٢. أغراض التشبيه في سورة يوسف

للتشبيه أهداف ومزايا يسعى المتكلم إلى تحقيقها، وتُعرف هذه الأهداف بأغراض التشبيه. وهي الأسباب أو الدوافع التي تدفع الأديب إلى استخدام هذا الأسلوب البلاغي، أو الغاية التي يقصدها المتكلم من تشبيهه، والفائدة التي يريد إيصالها إلى السامع من خلال التعبير التشبيهي. وغالبًا ما تعود هذه الأغراض إلى المشبّه، وقد يرتبط بعضها أحيانًا بالمشبّه به.^{١٠٦}

ويكون أغراض التشبيه في سورة يوسف كالتالي:

(أ) الآية ٦ (تزيين حال المشبه)

لأن الآية تُظهر اجتناء الله تعالى ليوسف عليه السلام وتعليمه من تأويل الأحاديث في صورة مشرّفة، وفي ذلك تحسين لشأن المشبّه وترغيب فيه، وهو ما يوافق غرض تزيين المشبّه؛ إذ شُبّه حال يوسف في عناية الله به بحال من اصطفاه الله وخصّه بالعلم.

(ب) الآية ٦ (تقرير حال المشبه)

لأن إتمام النعمة على يوسف عليه السلام أُكِّد بتشبيهه بإتمامها على إبراهيم وإسحاق، وهما أشهر وأثبت في النعمة والاصطفاء، والمراد بذلك تأكيد هذا الوعد في نفس السامع وتقوية أثره في قلبه.

(ج) الآية ٢١ (تقرير حال المشبه)

لأن الآية تؤكد أن ما وصل إليه يوسف عليه السلام من تمكين في الأرض كان بتدبير الله تعالى، فجاء التشبيه لتثبيت هذا المعنى في نفس القارئ، وبيان أن التمكين لم يكن أمرًا عارضًا، بل واقعًا مقصودًا ومحققًا.

(د) الآية ٢٢ (تقرير حال المشبه)

لأن ما أسند إلى يوسف عليه السلام من إبتائه الحكم والعلم جعل مثلًا

^{١٠٦} عبد الفتاح فيود، علم البيان - دراسة تحليلية لمسائل البيان -، ١٠٧.

عاما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، فجاء التشبيه لتأكيد هذا المعنى وتثبيته، وبيان أن ما ناله يوسف هو جزاء ثابت لكل محسن، وليس أمرا خاصا به وحده.

(هـ) الآية ٢٤ (تقرير حال المشبه)

لأن صرف السوء والفحشاء عن يوسف عليه السلام أكد بيان علة ذلك، وهو أن يوسف من عباده المخلصين، فالتشبيه هنا جاء لتثبيت طهارته وعصمته في نفس السامع وتقوية هذا المعنى بعد ذكر موقف قد يُتوهم فيه غير ذلك.

(و) الآية ٣١ (تزيين حال المشبه)

لأن التشبيه يهدف مباشرة إلى تحسين صورة يوسف وإبراز كماله في أعين النسوة. فالمشبه به الملك الكريم هو أعلى مرتبة في الخلق وأحسنهم صورة. هذا يولد في النفس صورة رائعة عن يوسف تدعو إلى الإعجاب والدهشة، وهو الغرض الأصلي لقول النسوة.

(ز) الآية ٤٤ (تقبيح المشبه)

لأن المشبه رؤيا الملك تم تشبيهها بالأضغاث وهو الخليط المختلط من الحشيش الذي لا ينفع. هذا التشبيه يولد في النفس صورة سيئة عن الرؤيا تجعلها تظهر كمزيج فوضوي لا معنى له، وبالتالي فهو يدعو إلى إهدارها وعدم الاهتمام بتأويلها. الغرض هو تنفير الملك والسامع من الالتفات إلى هذه الرؤيا ووصفها بالقبح الاعتباري العدم والاختلاط.

(ح) الآية ٧٥ (تقرير حال المشبه)

لأن المشبه جزاء الظالمين هو حكم شرعي وقانون إلهي عام. التشبيه بجزاء إخوة يوسف "كذلك" يجعل هذا الجزاء سنة ثابتة وعدلاً إلهياً ليس خاصاً بهم، بل هو قانون شامل. التشبيه يقرر ويؤكد هذه السنة في الكون، ويثبت أن عقوبة السارق الاسترقاق هنا ليست حدثاً فردياً بل هي نظام إلهي.

(ط) الآية ٧٦ (تقرير حال المشبه)

لأن المشبه تدبير الله ومكيدته ليوسف لاستبقاء أخيه هو تدخل إلهي خفي وعناية ربانية. التشبيه كذلك الذي هو حيلة وضع الصواع في رحل أخيه، يجعل هذا الكيد حُطَّةً مُحْكَمَةً ومقصودة وليست صدفة. التشبيه يقرر ويؤصل أن هذه الأحداث كلها من الإلقاء في البئر إلى الاستبقاء في مصر هي حلقات في خطة إلهية واحدة، مما يُثبت ويؤكد حكمة الله وتدييره.

جدول ٢، ٤: خلاصة أغراض التشبيه في سورة يوسف

الرقم	رقم الآية	الغرض
١.	٦	تزيين حال المشبه
٢.	٦	تقرير حال المشبه
٣.	٢١	تقرير حال المشبه
٤.	٢٢	تقرير حال المشبه
٥.	٢٤	تقرير حال المشبه
٦.	٣١	تزيين حال المشبه
٧.	٤٤	تقبيح المشبه
٨.	٧٥	تقرير حال المشبه
٩.	٧٦	تقرير حال المشبه

٣. القيم التربوية في سورة يوسف في تفسير المنير

(أ) الآية ٦

اشتمل كلام يعقوب عليه السلام لابنه يوسف على عدد من البشائر؛ إذ أخبره أنه كما أكرمه الله بتلك الرؤيا، فإنه سيختاره ويصطفيه، ويحقق له ما دلت عليه الرؤيا من السجود له. والمقصود بالاجتباء اختيار الله لعبده واصطفاءه للمعالي. كما أن الله سيعلمه تأويل الرؤى وتفسير الأحاديث، وما يتصل بذلك من معاني الكتب ودلائل

التوحيد، وفي ذلك إشارة إلى منحه النبوة. وسيتمّ الله نعمته عليه بمنحه النبوة، كما أتمّ هذه النعمة من قبل على أجداده إسحاق وإبراهيم عليهما السلام؛ فقد اصطفى الله إبراهيم فاتخذه خليلاً وجعله نبياً وأنقذه من النار، كما جعل إسحاق أيضاً نبياً من أنبيائه.^{١٠٧}

(١) القيم التربوية الإيمانية: يتضح من كلام يعقوب عليه السلام لابنه يوسف أن ما بُشِّر به من اجتناء وإحسان وإتمام النعمة إنما هو من آثار المشيئة الإلهية والاصطفاء الرباني، حيث ربط يعقوب بين الرؤيا وبين تحقيقها مستقبلاً بإرادة الله، وأكد أن الاجتناء يتم وفق حكمة إلهية قائمة على التوحيد والنبوة. كما يبرز النص أن النعمة الإلهية ممتدة في سلالة الأنبياء، مما يعمّق الإيمان بسنن الله في الاصطفاء، وبعنايته بعباده الصالحين، وبحكيمته في إيتاء النبوة لمن يشاء.

(٢) القيم التربوية العلمية: لأن النص أشار إلى أن من مظاهر اجتناء يوسف عليه السلام تعليمه تعبیر الرؤى وتأويل الأحاديث، وربطه ذلك بدلائل التوحيد، مما يدل على أن العلم الموهوب له علم هداية وبصيرة، يقوم على الفهم العميق للوقائع وربطها بالعقيدة. وهذا يعكس مكانة العلم في البناء التربوي، بوصفه وسيلة لفهم الوحي، وإدراك الحقائق، وتعميق الإيمان.

(٣) القيم التربوية الأسرية: لأن الخطاب جاء في سياق العلاقة بين الأب وابنه، حيث تولّى يعقوب عليه السلام توجيه يوسف، وبث الطمأنينة في نفسه، وربطه بتاريخ أسرته النبوية، مما يدل على دور الأسرة في التربية، وغرس القيم، وربط الأبناء بسير الصالحين والأنبياء.

^{١٠٧} وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المجلد السادس، (دار الفكر: ١٩٩١)،

(٤) القيم التربوية الأخلاقية: لما في كلام يعقوب عليه السلام من أسلوب تربوي قائم على الحكمة، والبشارة، وبت الأمل، وربط المستقبل بالثقة بالله، وهو ما يعكس أخلاق المري في التوجيه، والبعد عن التهويل أو التخويف، واعتماد اللطف في غرس المعاني الإيمانية في نفس الابن.

(ب) الآية ٢١

لقد هيا الله تعالى ليوسف التمكين المادي والمعنوي بوحى أوحاه إليه في أرض مصر، إذ جعل قلب الملك يميل إليه، حتى أصبح ذا مكانة رفيعة، يتمكن من إصدار الأوامر والنواهي في دولة الملك، فصار وزيراً للمالية ورئيساً للحكومة. كما علمه الله تأويل الكلام وتفسيره، وتعبير الرؤى، ومنحه الفطنة في إدراك الأدلة الدالة على وجود الله ووحدانيته وقدرته.^{١٠٨}

والله سبحانه غالب على أمره، يجري الأمور وفق مشيئته، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأمره نافذ في جميع خلقه، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٣/٣٦).^{١٠٩}
غير أن أكثر الناس لا يدركون حقائق الأمور الإلهية، فيقفون عند ظواهرها، بينما يدرك الأنبياء والمؤمنون والأتقياء أن الله غالب على أمره، وأن مشيئته نافذة في كل شيء.^{١١٠}

(١) القيم التربوية الإيمانية: لأنها تبرز أن ما وصل إليه يوسف عليه السلام من تمكين ومكانة لم يكن نتيجة تخطيط بشري مجرد، وإنما ثمرة لتدبير إلهي محكم، حيث تتجلى مشيئة الله في توجيه الأحداث وتيسير أسبابها، بما يؤكد هيمنته المطلقة على مجريات الأمور، وأن إرادته نافذة لا يعجزها مانع. كما يعزز

^{١٠٨} وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المجلد السادس، ٥٦٩.

^{١٠٩} وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المجلد السادس، ٥٧٠.

^{١١٠} وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المجلد السادس، ٥٧٠.

ذلك الإيمان بأن الاصطفاء والنبوة والنعم العظمى إنما تكون وفق حكمة الله واختياره لعباده.

(٢) القيم التربوية العلمية: لأن من أبرز مظاهر التمكين المعنوي تعليمه تأويل الأحاديث وتفسير الرؤى، والفطنة إلى الأدلة الدالة على وجود الله ووحدانيته، مما يدل على أن العلم كان أساساً في نضجه القيادي، وأن المعرفة العميقة بالوقائع والسنن الإلهية تعزز كفاءة الإنسان في التعامل مع الأحداث.

(٣) القيم التربوية العملية: لأن تولي يوسف عليه السلام مهام القيادة وإدارة شؤون الدولة داخل من التمكين المادي وهو الذي يعكس قيمة العمل المسؤول، القائم على الكفاءة وتحمل الأمانة، ويؤكد أن القيام بالوظائف العامة في المنظور القرآني وسيلة للإصلاح وخدمة الناس، لا غاية لتحقيق المصالح الشخصية.

(٤) القيم التربوية السياسية: لأن تمكين يوسف عليه السلام في موقع القيادة جاء مقروناً بالعدل والكفاءة والعلم، مما يدل على أن الولاية في التصور الإسلامي تقوم على تحمل المسؤولية وخدمة المجتمع، لا على الاستعلاء أو التسلط، وأن السلطة وسيلة لتحقيق مقاصد شرعية تحفظ مصالح الناس.

(ج) الآية ٢٢

منح الله يوسف الحكم والعلم، أي النبوة، وذلك بعد أن بلغ مرحلة الرشد واكتمل نموه الجسدي والعقلي. كما جعله من المؤمنين المحسنين الذين يلتزمون أوامر ربهم ويجتنبون نواهيه، ويصبرون على ما يواجههم من الشدائد والابتلاءات. وقد ذهب بعض العلماء إلى أن من يجتهد في طاعة الله، ويصبر على البلاء، ويشكر نعمه، فإنه ينال منزلة الرسالة؛ واستدلوا على ذلك بما ورد في قصة يوسف، حيث ذكر الله صبره

على تلك المحن ثم أعقبه بذكر منحه النبوة والرسالة.^{١١١}

(١) القيم التربوية الأخلاقية: لأنها تركز على صفات أخلاقية أصيلة اتسم بها يوسف عليه السلام، مثل الصبر على البلاء، والشكر عند النعمة، والإحسان في السلوك، والالتزام بالطاعة، وهي صفات أخلاقية سامية أسهمت في تهيئته لحمل أمانة الرسالة. ويبرز ذلك أن الارتقاء الأخلاقي شرط أساس لنيل المكانة الرفيعة، وأن الجزاء الإلهي يرتبط بالسلوك القيمي المستقيم.

(٢) القيم التربوية العلمية: لأنها ترتبط بين الاجتهاد العملي، والصبر على المحن، وتحمل التكليف، وبين نيل المنزلة الرفيعة، مما يدل على أن العمل الجاد، والثبات على الطاعة، وبذل الجهد في مواجهة الابتلاءات، تعد من الأسباب المؤهلة لتحمل المسؤوليات الكبرى، وفي مقدمتها أمانة الرسالة.

(د) الآية ٢٤

هناك فرق بين بين همّ المرأة بيوسف، الذي كان قصدها منه الوقوع في المعصية ومخالطته، وبين همّ يوسف بها، إذ كان همه الفرار منها والنجاة من الوقوع في الفاحشة؛ لأن الأنبياء معصومون من ارتكاب المعاصي.

وقد صرف الله تعالى عن يوسف عليه السلام السوء والفحشاء، لقوله سبحانه: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ ثم وصفه الله بأنه من عباده المخلصين بفتح اللام، أي الذين طهرهم الله من السوء وصانهم منه، وقرأها بعضهم بكسر اللام (المخلصين)، أي الذين أخلصوا دينهم لله تعالى. كما يُحتمل أن يكون المقصود أنه من ذرية إبراهيم عليه السلام الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ (ص: ٤٦/٣٨-٤٧).^{١١٢}

^{١١١} وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المجلد السادس، ٥٦٩-٥٧٠.

^{١١٢} وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المجلد السادس، ٥٨٢.

(١) القيم التربوية الإيمانية: يتضح من سياق أن عصمة يوسف عليه السلام من الوقوع في السوء والفحشاء لم تكن ناتجة عن مجرد اجتناب ظاهري للمعصية، بل جاءت نتيجة لاختصاص إلهي واصطفاء رباني، حيث تولى الله صرف دواعي الشر عنه، وجعله من عباده المخلصين الذين شملتهم العناية الإلهية. وهذا يرسخ الإيمان بعصمة الأنبياء، وبقدرة الله على حفظ عباده الصالحين، وبأن الاصطفاء الإلهي مرتبط بالإخلاص والتوحيد الخالص.

(٢) القيم التربوية الأخلاقية: لأن النص يبرز السمو الأخلاقي في موقف يوسف عليه السلام، حيث انصرف همه إلى الفرار والنجاة لا إلى المعصية، مما يعكس علو الخلق، ونقاء السريرة، وضبط الشهوات، والبعد عن مواطن الفحشاء. كما يدل ذلك على أن الأخلاق الفاضلة ليست رد فعل لحظي، بل ثمرة تربية إيمانية راسخة تسهم في توجيه السلوك عند الابتلاء.

(٣) القيم التربوية التعبديّة: لأن وصف يوسف عليه السلام بكونه من المخلصين يدل على تمام العبودية لله، وإفراد القصد له في القول والعمل، وهو ما يعكس عمق الارتباط بالله، وحضور مراقبته في النفس، مما كان سبباً في عصمته من الوقوع في السوء والفحشاء. وهذا يبرز أثر الإخلاص في حفظ السلوك وتقويمه.

هـ) الآية ٣١

لم تستطع النسوة أن يملكن أنفسهن عند رؤية يوسف، فقلن: إن هذا ليس من جنس البشر، بل يشبه الملائكة في جماله. والمقصود من ذلك المبالغة في وصف حسن يوسف وروعة جماله، حتى بدا كأنه يفوق البشر في ذلك، كما أن في هذا إشارة إلى طهارته وبرائه من المعاصي. وقولهن: ﴿حَاشَ لِلَّهِ﴾ يتضمن تنزيه يوسف وتبرئته مما نسبته إليه امرأة العزيز من المراودة، أي إن يوسف بعيد عن مثل هذا الفعل.^{١١٣}

^{١١٣} وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المجلد السادس، ٥٩٣.

(١) القيم التربوية الإيمانية: لأن تبرئة يوسف عليه السلام جاءت مقرونة بقول النسوة: ﴿ حَاشَ لِلَّهِ ﴾ وهو تعبير عقدي يدل على تنزيه الله تعالى، واستحضار مراقبته، وربط الطهارة السلوكية بالإيمان بالله وتعظيمه. كما يعكس ذلك الإيمان بعناية الله بعباده الصالحين، وحفظه لهم من الوقوع في المعاصي، وإظهار براءتهم أمام الناس.

(٢) القيم التربوية الجمالية: لأن النص أشار إلى الحسن الفائق والجمال الرائع الذي آتاه الله يوسف عليه السلام، وهو جمال لم يكن مثيراً للفتنة بقدر ما كان باعثاً على التعظيم والتنزيه، مما يدل على أن الجمال في المنظور القرآني قيمة منضبطة بالأخلاق، ومتكاملة مع الطهارة السلوكية، لا منفصلة عنها.

(و) الآية ٤٤

عندما اقترب الفرج ليوسف رأى ملك مصر، وهو الريان بن الوليد، رؤيا عجيبة، فعرضها على الكهنة والعلماء ليؤولوا معناها، لكنهم اعتذروا عن تفسيرها لعدم قدرتهم على تفسيرها. وكان عجزهم عن تفسيرها سبب في إحالة أمر إلى يوسف. وهكذا أصبحت رؤيا الملك في نهاية المطاف بشارة وفرجاً ليوسف. وتصدر الإشارة إلى أن الرؤى نوعان: رؤيا صادقة حق، وأخرى أضغاث أحلام، وهي الرؤى المختلطة الكاذبة.^{١١٤}

(١) القيم التربوية الإيمانية: يتضح من سياق الأحداث أن فرج يوسف عليه السلام جاء بتقدير إلهي محكم، حيث جعل الله رؤيا الملك سبباً لانكشاف أمره بعد طول ابتلاء، فتحوّلت الرؤيا في مآلها إلى بشارة ورحمة. ويؤكد ذلك أن تدبير الله يجري وفق حكمته، وأن الفرج قد يأتي من حيث لا يحتسب الإنسان، مما يعزز الإيمان بقضاء الله، ولطفه بعباده، وحسن تدبيره للأمور في أوقاتها المناسبة.

^{١١٤} وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المجلد السادس، ٦١٥.

(٢) القيم التربوية العملية: لأن إحالة الأمر إلى يوسف عليه السلام بعد عجز غيره يبرز قيمة الكفاءة في إسناد الأعمال، وأن المسؤوليات لا تُعطى لمجرد المكانة أو الادعاء، بل لمن يملك القدرة الحقيقية على الإنجاز، وهو ما أدى النهاية إلى رفع الظلم عن يوسف وتمكينه.

(ز) الآية ٧٥

إن عقوبة من ارتكب السرقة هي أخذ الشخص الذي يُعثر على المسروق في متاعه، وبمثل هذا الجزاء يُعاقب الظالمون الذين يعتدون على أموال الناس بالسرقة في شريعتهم. وهكذا كانت الشريعة التي جرت عليها أحكام إبراهيم عليه السلام ويعقوب عليه السلام؛ إذ كان سارق يُسَلَّم إل صاحب المال مسروق فيصبح عبد له. وهذا هو الحكم الذي أَرَادَهُ يُوسُفُ عليه السلام.^{١١٥}

(١) القيم التربوية القضائية: يتضح من مضمون النص أن الجزاء المترتب على السرقة جاء منسجماً مع طبيعة الجرم، حيث تم الأخذ بمن وجد المتاع في رحله، وهو ما يعكس مبدأ العدالة الجزائية القائمة على مقابلة الفعل بجزائه المناسب. كما يبرز أن هذا الحكم لم يكن اجتهاداً فردياً، بل كان جزءاً من شريعة سابقة مقررة في شريعة إبراهيم ويعقوب عليهما السلام، مما يدل على رسوخ القيم القضائية في التشريع الإلهي، وتحقيق الردع وحفظ حقوق الناس، وإقامة العدل بينهم.

(٢) القيم التربوية الأخلاقية: لأن النص يربط بين السرقة بوصفها اعتداءً على حقوق الآخرين، وبين وصف فاعلها بالظلم، مما يرسخ قيمة الأمانة، ويدعو إلى احترام أموال الناس، والبعد عن أكلها بغير حق. كما يبرز أن الجزاء الأخلاقي للسرقة لا ينفصل عن الجزاء القضائي، بل يكمله ويعززه.

^{١١٥} وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المجلد السابع (دمشق: دار الفكر) ٣٥.

ح) الآية ٧٦

المقصود بقوله تعالى: ﴿كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ أي دبّرنا له الأمر تدبيرًا خفيًا، وأوحينا إليه بما ينبغي أن يفعله. ويُعدّ هذا التدبير من الكيد المحمود الذي يحبه الله ويرضاه، لما يتضمنه من حكمةٍ ومصلحةٍ مقصودة. وفي ذلك دليل على جواز الوصول إلى المقاصد المشروعة بوسائل قد يظهر فيها شيء من الحيلة، ما دامت لا تخالف نصًا شرعيًا ولا حكمًا مقررًا؛ فهي حيلة جائزة إذا ترتب عليها الخير والمصلحة دون إلحاق ضررٍ بأحد. كما أن بنيامين كان مطمئنًا إلى براءته، بسبب الاتفاق السابق بينه وبين أخيه يوسف. وكان إلقاء صواع في متاع بنيامين بأمر يوسف. بتعليم وإلهام من الله تعالى، كما أن إبقاءه عنده كان موافقًا لشريعة إبراهيم ويعقوب عليهما السلام، وإلزامًا لإخوته بالحكم الذي أقرّوه بأنفسهم.^{١١٦}

(١) القيم التربوية القضائية: يتضح من سياق فقه الحياة أن ما وقع من تدبير يوسف عليه السلام لم يكن كيدًا مذمومًا، بل كان إجراءً مشروعًا أوحى إليه به، وجرى وفق حكمٍ تشريعي معتبر، دون مخالفة لنص شرعي أو إلحاق ضررٍ بأحد. ويبرز ذلك مبدأ مشروعية الوسائل إذا كانت الغايات مشروعة، وأن الحكم القضائي قد يستند إلى تدبير خفي يحقق العدالة ويلتزم بالأحكام المقررة، كما أن إلزام الإخوة بما حكموا به أنفسهم يعكس عدالة الإجراء القضائي واتساقه مع القواعد الشرعية.

(٢) القيم التربوية الإيمانية: أن التدبير الذي وقع كان بوحى من الله تعالى، وإلهام رباني مقصود لتحقيق مصلحة شرعية، مما يؤكد الإيمان بحكمة الله في تصريف الأمور، وتدييره الخفي الذي يقود إلى الخير، وأن ما يجري بإذنه سبحانه لا يخرج عن دائرة الرحمة والعدل، حتى وإن خفيت حكمته في ظاهر الأمر.

^{١١٦} وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المجلد السابع، ٣٦-٣٧.

(٣) القيم التربوية الأخلاقية: لأن هذا التدبير خلا من الظلم والإضرار، واقترب بحفظ كرامة بنيامين وطمأنته ببراءته، مما يدل على مراعاة الجانب الأخلاقي في التصرفات، والحرص على تحقيق المصلحة دون إلحاق أذى بالآخرين، وهو ما يعكس قيم العدل، والرحمة، وحسن القصد في التعامل.

(٤) القيم التربوية السياسية: لأن يوسف عليه السلام تصرف بصفته صاحب ولاية ومسؤولية، واتخذ إجراءً إدارياً يحقق مصلحة عامة، دون تجاوز للصلاحيات أو إخلال بالنظام، مما يدل على حسن إدارة السلطة، واستخدام الصلاحيات في تحقيق المقاصد المشروعة.

جدول ٣، ٤: خلاصة القيم التربوية في سورة يوسف في تفسير المنير

الرقم	رقم الآية	القيم التربوية
١.	٦	الإيمانية
		العلمية
		الأسرية
		الأخلاقية
٢.	٢١	الإيمانية
		العلمية
		العملية
		السياسية
٣.	٢٢	الأخلاقية
		العلمية
٤.	٢٤	الإيمانية
		الأخلاقية
		التعبدية

الإيمانية	٣١	.٥
الجمالية		
الإيمانية	٤٤	.٦
العملية		
القضائية	٧٥	.٧
الأخلاقية		
القضائية	٧٦	.٨
الإيمانية		
الأخلاقية		
السياسية		